الإعلام الدولي

وهو الإعلام الذي يوجه خارج القطر الذي يصدره، ويوجه إلى العالم الخارجي إضافة إلى جمهوره، ويحمل في خصائصه طابعاً دولياً، ويتناول قضايا دولية تهم دول العالم الخارجي، ولم يكن الهدف منه في بدء الأمر توحيد العالم أو السلام العالمي بل الصراع الدولي الذي لعب دوراً رئيساً في تغذيته، فمن دواعي ظهوره الصراع بين أقطاب السياسية الدولية والنزاعات الدولية، واختلاف الفكر السياسي والمصالح بين المعسكرات الدولية، ولكنه شهد تطوراً في المرحلة الأخيرة في بعض جوانبه، فأصبح لبعض القنوات الدولية أهداف إنسانية صالحة بعيدة عن الصراع، وهذه القنوات تدعمها المؤسسات الدولية والمنظمات غير الحكومية التي تتبنى فكراً محايداً.

وهذا النوع من الإعلام قد يحمل في طابعه شخصية عالمية، وقد يحمل شخصية قائلة، ويعبر عنها فقط، ليقنع بها الآخرين، ودول العالم المعاصر تنشئ قنوات دولية لأغراض سياسية ذرائعية، وقد تنشئ قنوات دولية لأغراض علمية، وتنشأ هذه القنوات تحت مظلة مؤسسات دولية رسمية، فأما الأولى وهي التي تنشأ لأهداف اقتصادية وسياسية، فتقيمها مراكز القوى في العالم من دول رأس المال، والدول التي تقوم على مذاهب فكرية لتستقطب إليها حلفاء جدد وتنشر أفكارها خارج حدودها.

وهذا النوع من الإعلام لا يتمتع بعدالة توزيع الأنباء في العالم، فالدول الكبرى استطاعت أن تتحكم في وسائل الإعلام الدولي من خلال هيمنتها على الأقمار الصناعية، ونفوذها في الفضاء الخارجي الذي تعده وفقاً لها ولا تخترقه الدول الفقيرة، إلا بتصريح منها؛ لأنها لا تتمتع بأنظمة ديمقراطية.

وهي ليست ديمقراطية في إحكام سيطرتها على العالم، وابتزاز ثرواته، والهيمنة عليه، وممارسة كافة الضغوط على الدول الفقيرة لإرغامها على طاعتها، وهي في الوقت نفسه تتهم الدول الفقيرة بأنها تعسفية، ولا تحظى بالحرية التي يرفل فيها مواطنوها، وحقيقة الأمر أنه ليس حراً بل مغيبًا، فالدول الكبرى تعطي مواطنيها شعوراً عبر وسائل الإعلام أنهم أعلى صوتاً في العالم، ومن دونهم من الأمم تصورهم بالغوغاء والمخربين والمتخلفين، وتحذر مواطنيها من الاستمتاع إليهم أو مخالطتهم، فالعالم المسمى ثالثاً لا يرقي في الإعلام الغربي إلى مستوى الآدمية، والمواطن الغربي لا يشعر بوجوده غالباً، ويراه في الصورة التي رسمتها له

وسائل الإعلام، وليس لديه الوقت في التفكير فيه؛ لأنه في شغل دائم، ولا يستجيب لثرثرة الفقراء ومشاحناتهم وجدالهم وكثرة اختلافهم، فهم بمنزلة الرعاء المتخلفين، يعيشون عصور الظلام ويأبون أن يمسكوا شمعة من الشموع التي تقدمها لهم الدول الغنية فكلما قدمت لهم شمعة أطفئوها، وقالوا : بدعة وضلالة، فالعربي عند الغرب مثلاً قرين الجمل والصحراء والسيف وحروب الجاهلية، ويشبه الهنود الحمرأو التتار، وقد أكمل جوانب هذه الصور، ووضع رطوشها الأخيرة بعض النماذج العربية الهزيلة وغير الصالحة.

وتنفق الدول الاستعمارية أموالاً طائلة على وسائل الإعلام وتدعمها، وتثبت قنواتها في بقاع العالم، وهي قنوات موجهة تنشئ المتلقي تنشئة سياسية توهمه بتأليه هذه الدول، وأنها النموذج المثالي وحلم كل يائس من السلطة الوطنية، فينموا اتجاه تابع لثقافة الغرب ويواليه موالاة العبد مولاه، والسلطة نفسها تساعد في نمو هذا الاتجاه بما تيسره لوسائل الإعلام الخارجية وما تمتدحها به، وترددده خلفها، فهي الأخرى تعلن لشعبها أنها مطواعة لهذه الدول، وتستمد سلطتها من هذه الأنظمة العالمية ولا تعتمد في شرعيتها على الشعب، وكأنها منصبة عليه من قِبَل هذه الدول، فتصبح عبئاً عليه تخطو خلاف خطواته، وتعمل ضد مصالحه، وهذه صورة عامة لأشكال السلطة في الشرق فهي تعطيك انطباعاً أنها تسوس سياسة تخالف رغبة شعوبها، لأنها لا تسلك مسيرتها في الحكم وهي لا تنظر الشعب بل تنظر إلى القوى المهيمنة، فتطأ بأقدامها شعبها أو تصدمه وهي لا تدري، ففقدت الثقة بين السلطة والشعب، وأصبحت عبئاً ثقيلاً عليه؛ لأنها لا تمثله ولا تحكم بتفويض منه، وصارت السلطة في الخيال الشعبي عقاباً لخطاياه في الدنيا يدعو الله ليل نهار: (ربنا اكشف عنا العذاب)، وما هو بمزحزح عنهم حتى يؤمنوا.

وأصبحت لدى الشعوب الشرق أوسطية ثقافة معتمة عن السلطة، فهي رمز الظلم، وليست مملكة الله فيها وليست منه في شيء، وأن السلطان في الأرض رمز الدنيا، وما تكونوا يول عليكم، وأن ظلم الحاكم عذاب مسلط من الله على عصاته، وعليهم أن يطهروا أنفسهم، وينتظروا مخلصاً.

وهذه الثقافة لها أبعاد دينية قديمة تمتد إلى موقف اليهود من السلطة، وضربت بجذورها في بداية ظهور المسيحية والمحنة التي عاشتها في ظل الإمبراطورية الرومانية، ووقع صداها عند بعض المسلمين الذين تسربت إليهم إسرائيليات، وأفكار كنسية، ويرددها دعاة المسلمين في

خطبهم وكتبهم، وعامة الناس تبع لهم، والأمر يحتاج إلى مراجعة وتوعية، فالإسلام بلغ غايته في العالم بفضل السلطان النصير، وما فيه المسلمون اليوم يعوذه سلطان قوى يعيد ترتيب هذه الأنظمة المتناحرة، وهذا كله يحتاج خطاباً واعياً ومتكافئاً وهادئاً وإقناعياً.

ومازال الإعلام العربى عاجزاً عن خطاب العالم الخارجى وإقناعه؛ لأنه إعلام يخاطب نفسه وليست لديه عناصر الإقناع العالمى؛ فليس إقناعياً لعدم توظيفه الحجج المنطقية التى تجانس الواقع والظروف والثقافة التى تخاطبها بيد أن الأمل غير مفقود فى قنوات واعية تتطلع إلى توظيف أفضل وسائل الاتصال فى مخاطبة الثقافات الأخرى بلغاتها وأسلوبها فى الخطاب.

والإعلام فى العالم العربى موجه لخدمة مصالح السلطة، وتهيمن عليه تيارات لا تمثل العقل الجمعى الشعبى، فهى تحرص على توجيه الجمهور إلى وجهتها وتمارس وسائل عديدة للتأثير فيه، كما تحرص على استقطاب الشباب والمثقفين، فالإعلام يمارس التغريب ويجنح إلى تغيير شخصية الأمة بدعوى التنوير والتوعية، ويستعين فى ذلك بأعمال فنية هزيلة والاستعانة بإعلاميين من مذاهب مشبوهة.

وقد جسد الإعلام الأمة تجسيداً مشوهاً لا يعبر عن شخصيتها أو واقعها، فنقل إلى العالم الخارجى صورة رديئة لنماذج رديئة لا تمثل الأمة، فليس الإعلام العربى بوسيلة إمتاعية مفيدة بل وسيلة إثارة واستفزاز وتغريب وتسفيه، ومرجع ذلك إلى سيطرة ذوى المصالح والمتهمين فى هويتهم عليه، وأن السلطة توظف ذلك لشغل الجماهير وتستطيح العقول، فانصرف الجمهور عن الإعلام السلطى غير المحايد إلى الإعلام الخاص الذى يعبر عن الآخر المغيب فى خطاب السلطة ويعبر عن بعض الأحزاب الإصلاحية، وقد استطاع بعض المصلحين إنشاء قنوات محافظة استطاعت أن تجذب جمهوراً واسعاً وأن تخاطب العالم، وأن تقوم بدور التوعية والتنوير فاجتمع لها جمهور كبير داخلياً وخارجياً.

** ** ** **